ذات الشوكة والثورة في السورية

الكاتب : يحيى بشير حاج يحيى

التاريخ : 17 نوفمبر 2012 م

المشاهدات : 4874

لما خرج الشعب السوري في آذار 2011 ، كان يطالب بالحرية التي هي من أول حقوقه ! و كان خروجه عفويا لم يعد له العدة من قبل ، و إن كانت بوادر الثورة تلوح في الأفق بعد تراكم طويل و ثقيل من ممارسات النظام ، و معاناة الجماهير و لكن الله سبحانه أراد شيئا آخر ، أراد لهؤلاء المطالبين بالحرية بداية تحول في سورية و ما حولها !

و هي صورة تشبه ما حدث للمسلمين في غزوة بدر ، حين خرجوا لاعتراض القافلة تعويضا لما فقدوه في مكة .

إلا أن الله تعالى ـ كما يقول صاحب الظلال سيد شهداء العصر:

أراد أن تكون ملحمة لا غنيمة ، و أن تكون موقعة بين الحق و الباطل ؛ فكان اختبار الله لهم غير ما أرادوا و خرجوا لأجله " و يضيف :" فأين ما أرادته العصبة المسلمة لنفسها مما أراده الله لها ؟

لقد كانت تمضي ـ لو كانت لهم غير ذات الشوكة ـ قصة غنيمة . قصة قوم أغاروا على قافلة فغنموها ! فأما بدر فقد مضت في التاريخ كله قصة عقيدة ، قصة نصر حاسم و فرقان بين الحق و الباطل ، قصة انتصار الحق على أعدائه المدججين بالسلاح المزودين بكل زاد

أما و قد فرت القافلة فقد قدر الله أن يلقوا الطائفة الأخرى ، و قدر أنها ستكون لهم، كانت ما كانت، كانت العير أو كانت النفير كانت الضعيفة التي لا شوكة لها أم كانت القوية ذات الشوكة و المنعة [و إذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم ، و تودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم] هذا ما أرادته العصبة المسلمة لأنفسها يومذاك ، أما ما أراده الله لهم ، و بهم ، فكان أمرا آخر [و يريد الله أن يحق الحق بكلماته و يقطع دابر الكافرين ليحق الحق و يبطل الباطل و لو كره المجرمون]

و هكذا و على الطريق نفسه تمضي الثورة في سورية !

فالحرية على أهميتها كان يمكن أن تنال كما في ثورات الربيع العربي ، و لكن تقدير الله ـ أراد أن تطول هذه المعركة ، ليحيى من حيّ عن بينة ، و يهلك من هلك عن بينة ، فمتى كانت تلك النفوس التي وقفت مع الطاغية متى كانت ستنكشف ؟ و أين كانت ستتعرى؟

ففي زمن المعركة الذي طال، و على أرض الواقع الذي توضحت فيه الحقائق لكل مبصر، انكشف هؤلاء بدءا من معممين لم يكونوا إلا سلة معلومات ، إلى من يزعمون أنهم نخب تتاجر بالمبادئ و المواقف، إلى عامة لم يكونوا شيئا مذكورا إلى... إلى .. فإذا هم قطعان مفضوحة مكشوفة تندرج جميعها تحت مسمى) الشبيحة) أعمى الله قلوبهم ، فلم ينتفعوا ببصر العينين .

كانت بدر نقطة تحول لا في حياة العرب آنذاك ، بل في حياة البشرية؟!

فماذا لو غنم المسلمون القافلة ، أو ماذا لو سُحقت تلك الفئة المؤمنة تحت سنابك خيول الجاهلية ؟

و لكن الله أراد أمرا آخر فكانت فرقانا بين الحق والباطل !

و ماذا لو أن تلك الانتفاضة حصلت على حريتها بجهد يسير و وقت قصير ، أو لو أنها سُحقت تحت عجلات دبابات النظام و وحوشه ؟!

و لكنها إرادة الله ، فقد حققت الثورة السورية الكثير و الكثير ، و ستكون إيذانا ـ بعون الله و توفيقه ـ لتحول كبير يشمل سورية و المنطقة المحيطة بها و البعيدة عنها

و بمقارنة بين الجهاد في أفغانستان بعد احتلال الروس لها و بين الثورة السورية تستوقفنا ثلاث نتائج كان المفكر محمد قطب قد أشار إليها في كتابه (الجهاد الأفغاني و دلالاته) المطبوع عام 1989 في جدة ، و قبل انهيار المنظومة الشيوعية و دولها المتهالكة .

أولاها : أن الجهاد الأفغاني قد كسر حاجز الرهبة من الوحوش الضارية التي تسمي نفسها (الدول العظمى)

و ثانيها : أنه كان نقطة تحول تاريخية وفق الإرادة الإلهية على يد فتية آمنوا بربهم، و زادهم هدى ، و ربط على قلوبهم ، ليُظهر ـ سبحانه ـ الحق على أيديهم و يجعلهم برهانا لآياته . فكم ضال نزع عن ضلالته ، و متشكك ابتعد و أقصر عن شكه !؟

وثالثهما : تأثير هذا الجهاد على المسلمين الروس ، و خشية الشيوعية أن تنتقل العدوى إلى باقي المسلمين سواء في الاتحاد السوفييتي آنذاك أم غيره و قد كان !!

و رابعها : أن الأمة غدت هي التي تجاهد ، لا جماعات منعزلة عن جسمها ، أو منفصلة عنها

و قد تحقق بفضل الله للثورة السورية كثير من هذه النتائج :

فلم يعد حاجز الخوف قائما ، و قد كسرته الإرادة الشعبية !!

و ظهر للعيان أن انتصار الثورة في سورية سيكون نقطة تحول تاريخية ! فقد برزت العودة إلى الله من خلال سلوكيات الشعب المُغيّب عن الإسلام و المُحارَب بعقيدت ، و من خلال الشعارات المرفوعة التي تعتز بدينها و رسولها ، و من خلال الفتية الذين أذهلوا العالم ببطولاتهم و إيمانهم و صبرهم

كما برز حجم خوف الأنظمة القمعية عربيا و عالميا من انتقال عدوى النهوض الشعبي في دولها و قد صرح مسؤول روسي أن نجاح الثورة السورية سيكون مؤثرا في الشيشان و القوقاز.

كما غدا انخراط الأمة في الجهاد و المقاومة مَعْلما بارزا بعد أن كان محصورا في نخبة ، أراد المجرم الأب حافظ الأسد أن

يستدرجها و يجرها بعيدا عن أعين الأحرار و بتغطية من أسياده على جرائمه كما حصل في الثمانينيات في عموم سورية و في حماة بالذات .

فاليوم أصبح الشعب السوري كله إلا زمرا تقاتل مع الجلاد ستنتهي معه بإذن الله ، أصبح هذا الشعب بريفه و مدنه ، و مثقفيه و عامته ، برجاله و نسائه ، بعسكريه و مدنيه منخرطا في جبهة البنيان المرصوص ، لينطلق كل فرد منه ، فيعمل بحسب موقعه ، و وجوههم جميعا متجهة نحو هدف واحد: رضا الله تعالى و إسقاط النظام.

المصدر: رابطة أدباء الشام

المصادر: